

عراقيون « الملاحق » الأخبار « ملاحق جريدة المدى اليومية

ليس رثاءً وإنما استذكراً

بتاريخ : الأربعاء 2013-10-30



أ. د. بشرى البستاني

من يوقف كارثة نفي الإبداع العراقي عن مهده وحاضرتة ومنابت نشأته .. من للمبدعين العراقيين وعلماء العراق الأجلاء وفنانيه ومثقفيه من استمرار النفي والاعتراب والغربة والتشرد والملاحقة وعذاب الحنين

أليس للعلماء العراقيين من جامع لشملهم، وآسٍ لجروحهم وموازر لغربتهم

طلابا مصغين كنا، نلتف بوعي وحب وإجلال حول هيبته

وهو الأستاذ والمعلم والفنان يعاملنا بروح إبداعية زاخرة بروح الشباب الخبيرة بالشباب، إنه الخبير

بعلم الآثار وبخطوط اللغات القديمة المبدع الدكتور بهنام أبو الصوف

كان عالماً متقدماً بالذكاء واللفظ والتواضع الجم والمحبة والإصرار على التواصل، ففي نهاية كل جلسة

كان حريصاً على تأكيد موعد قادم، فعلمه يتجدد ولا ينفد، أمجد محمد سعيد ونجمان ياسين وأنا، ومن

ينضم إلينا بين آونة وأخرى من المبدعين معد الجبوري، عبد الوهاب اسماعيل، محمد عطاء الله

وغيرهم

لم نكن نعرف من المسلم والمسيحي فينا، فقد كانت الموصل العراقية كما العراق كله بؤرة مضيئة

ومكثفة بانصهار الأديان والقوميات والطوائف، نتجاور سكناً وبتزاوُر صداقة ونتهياً للاحتفال بأعياد

بعضنا في دعوات المحبة على الطعام والشراب، كما نتقاسم أفراحنا وأحزاننا الشخصية، فكيف جرى ما

جرى ..؟ ومن المستفيد غير ذوي المصالح والأهداف العدوانية الموغلة بالتخريب

كانت المكتبة الجامعية أو قاعة المتحف الذي يعشقه أو المركز الثقافي الجامعي مواعيد لقائنا، وهو

يلقي العلم بانسيابية تتخللها اجمل الطرائف والمفارقات عن دراسته في كامبرج البريطانية، وعن

الإعجاب الكبير الذي يبديه الاجانب أمام عظمة الحضارة الرافدينية العريقة ومثابرة الإنسان العراقي منذ

فجر التاريخ، وعن الفرحة بلقمة جديدة وألواح حضارية ثرة خلال عمله الدؤوب بالتنقيب

كان يؤكد دوماً أن هذه الحضارة لن تنقطع مهما حاول المحاولون لأنها غدت عبر التاريخ جينا يجري في دم العراقي، ومن المؤكد أن يرثها الأجيال جيلا عن جيل، وما هذه المراحل التاريخية المنقطعة إلا محاولات إعاقة ما تلبث أن تخسر وتراجع أمام وعي شعب حضاري، فكيف هان على العراق رحيلك بعيدا يا حارس تراث الرافدين الجليل، يا معلم المثابرة والحرص والشهامة على هوية الوطن وجذوره قرأت على المواقع أن الأوساط الأدبية والثقافية العراقية تودع عالمها الجليل المؤرخ والآثري والأديب بهنام أبو الصوف، فتساءلت بجزع : كيف أودعك على بعد آلاف الأميال يا سيدي وحتام نصمت على انسلال أساتذتنا وعلمائنا ومبدعينا ومفكرينا بالموت شوقا وكمدا على نسمة من نسائم العراق

إن استمرار الإبداع العراقي في المنافي يؤكد قولة القائلين أن العراق المعاصر يمثل اليوم بيئة طاردة للإبداع، نافية للثقافة، كائنة للمعارف، ولذلك فعلى المسؤولين إيقاف هذا النزف المعرفي بكل الوسائل المتاحة، مادية ومعنوية، وليكن ذلك من أولويات مهمات من يهمهم الأمر، وزارة الثقافة، اللجنة الثقافية في البرلمان العراقي، البرلمان برمته، الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين، نقابة الفنانين، دائرة الآثار، والدولة بمؤسساتها جميعا. وأين المجمع العلمي العراقي؟؟

د. بهنام أبو الصوف عالما جليلا وأديبا مبدعا، وآثاريا بارعا، وإنسانا رائعا، وصديقا محبا للجميع تحية إجلال لروحك المُفعمة بعبير الألفة والصدق والإخلاص ولن يموت - حتى في زمن المكيدة - أمثالك من روائع الإنسانية الغراء، ليبقى العطر مشينتنا في عالم خسر البهاء من أجل ومضة كذابة في الخرائب يا باحثا عن اللقى الأصيلة في التراب النقي، وعن العراق الجميل في عراق ضائع بين الظلمة والأزمات والخسائر

تحيات من دجلة التي أحببت وحنين من حميرين وهي تخفي أطيافك بين ظلال مرتفعاتها، بينما تُغضي أدغالها خجلا من جهدك وعرق جبينك

من هضاب نينوى ومنحنياتها، تلك التي ضمتك طفولة وصبا ورجولة نبيلة المسعى وعلما مورق الأغصان

ويؤلمني، يؤلم الجميع أن قلبك الجميل صمت بغصته النبيلة على الآثار العراقية النفيسة التي سُرقت وما تزال تُسرق من متاحف وكنوز آثار العراق، وعلى الإنسان العراقي الذي يُذبح مجانا، وعلى شعب برئ يتمزق

يؤلمنا أن روحك السامية ظلت تشتعل شوقا إلى العراق

إضاءة

الدكتور بهنام أبو الصوف من مواليد الموصل 1931.، اكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها تخرج من قسم الآثار في جامعة بغداد عام 1959 حصل على الدكتوراه من جامعة كمبرج في انكلترا، في علم الإنسان ونواة الحضارة عام 1966 عشق العراق القديم واشتغل في التنقيب عن آثاره الحضارية في مواقع كثيرة، واشتهر عالميا عندما كشف عن حضارة جديدة ازدهرت مطلع العصر الحجري في وسط العراق، كشف عنها واسط الستينات من القرن الماضي

له عشرات البحوث والدراسات والتقارير العلمية الاثرية واصدر ثلاثة كتب عن العراق وعمل أبو الصوف لسنوات عديدة في التنقيب والاشراف على الآثار في عدد من مواقع العراق الأثرية في وسط وشمال العراق، وكان مشرفا علميا على تنقيبات إنقاذية واسعة في حوضي سدي حميرين (في محافظة ديالى)، و" أسكي موصل على نهر دجلة " في أواخر السبعينات وحتى منتصف الثمانينات من القرن الماضي

وكشف عن حضارة عراقية قديمة لم تكن معروفة تاريخياً زمنها مطلع العصر الحجري في وسط العراق، ألقت الكثير من الضوء على معلوماتنا في تلك الفترة الموعلة في القدم حاضر لسنوات عديدة في مادة جذور الحضارة والآثار والتاريخ وعن أهمية الحضارات العراقية القديمة في عدد من جامعات العراق وأمريكا وأوروبا ومعهد التاريخ العربي للدراسات العليا نشر بحوثاً ودراسات وتقارير علمية عن نتائج أعماله الميدانية ودراساته المقارنة في مجلات علمية عراقية وأجنبية، وله مؤلفات عدة منها: «فخاريات عصر الوركاء... أصوله وانتشاره» (بالإنكليزية)، و«ظلال الوادي العريق»، و«العراق: وحدة الأرض والحضارة والإنسان»، و«قراءات في الآثار والحضارة، وتاريخ من باطن الأرض» الذي يضم خبراته وتجاربه خلال 30 سنة وقد عين في عدة مناصب علمية وإدارية بهيئة الآثار والتراث وشارك في العديد من مؤتمرات الآثار غادر أبو الصوف العراق بعد الاحتلال عام 2003 وأقام في العاصمة الأردنية عمان التي توفي فيها الاربعاء عام 2012 بسكتة قلبية